الإيمانُ بالآخرة وأثرُه على الحَياة الطيّبة
من خلالِ القرآنِ الكريم وروايات أهلِ البيت عليهم السلام

د. محمد مرتضى

أستاذ الفلسفة الغربية في جامعة المعارف / لبنان

ملخص البحث

يعدُّ الايمان بالآخرة ركنًا أساسيًا من أركان الإيمان في الإسلام، وهو إيمانٌ له أثره الفاعل على تكامل البناء الحياتي للإنسان المسلم، عبر انعكاسه الإيجابي على سلوك هذا الفرد في علاقاته وتعاملاته في الدنيا.

في هذا البحث ناقشنا دور هذا الإيمان في بناء معالم الحياة الطيّبة للفرد والمجتمع المسلم وتمكينه وجوديًا من خلال العمل الصالح؛ حيث سلطنا الضوء في **المبحث الأول** على مفهوم الآخرة وأهميته من خلال القرآن الكريم وروايات اهل البيت عليهم السلام. وفي **المبحث الثاني** تحدّثنا عن دور هذا الإيمان في تمكينِ معالمِ الحَياة الطيّبة عند الإنسان المسلم مع تحليل لآياتٍ قرآنيةٍ ونصوصٍ روائية. وفي **المبحث الثالث** تطرّقنا إلى مجالات الحياة الإنسانية الطيّبة المُستندة إلى عقيدة المعاد، وهي مجالات تتصل بمعيشة الإنسان وصفاء نفسه وسكينة روحه، وأثر هذا الإيمان على تربيته وجهاده وفلاحه الحياتي وتحقيق غاية العدل والكرامة الإنسانية.

توصّل البحث إلى أنّ الإيمان بالآخرة – وما له من منعكسات إيجابية على حياة الفرد وبناء حياته انطلاقًا من المثل الدينية العليا – لا يمكن أنْ يعطي ثماره الطيّبة على هذا الصعيد إلّا من قيمة هذا الربط الحيوي والفعال بين الدنيا والآخرة، والتي عدّها الإسلام جسرًا يتواصل بلا انقطاع بين حياتين، إحداهما نتيجة للأخرى (الدنيا مزرعة الآخرة)، وذلك حتى يعيش المسلم في ظلِّ قيم الله تعالى ومفاهيمه وأخلاقياته، متسلحًا في دنياه بنور الإيمان بالله في توحيده والالتزام بمقتضياته الشرعية، وإخلاص النية له في كلّ حركةٍ وسكونٍ وفعل.

المقدّمة

الآخرةُ بحسب العقيدة الإسلامية، عالمٌ خاصٌّ يأتي بعد نهاية الدنيا، وموت الحياة البشرية وغير البشرية؛ وذُكرتْ الآخرة بمعنى المعاد، إذ وردتْ دلائلُ نقليةٌ وبراهينُ عقليةٌ وفلسفيةٌ كلاميةٌ إثباتًا لها (برهان الحكمة وبرهان العدالة). وفي سياقِ ترسيخ الأدلة ذُكرت لها مجموعة سماتٍ وخصائص منها الخلود، والعدل المطلق، ورؤية نتائج أعمال الدنيا، والانتفاع حسب الاستحقاق الدنيوي.. وكما يؤكّدُ السيد الطباطبائي في تفسيره، فإنَّ نظامَ الحياة في جميع شؤونها في الآخرة غير نظامها في الدنيا؛ فالدار الآخرة دار أبدية فيها محض السعادة لساكنيها لهم فيها ما يشاؤون أو محض الشقاء، وليس لهم فيها إلّا ما يكرهون، والدار الدنيا دار فناء، وزوال لا يحكمُ فيها إلّا الأسباب والعوامل الخارجية الظاهرية مخلوط فيها الموت بالحياة، والفقدان بالوجدان، والشقاء بالسعادة، والتعب بالراحة، والمساءة بالسرور، والآخرة دار جزاءٍ ولا عمل، والدنيا دار عملٍ ولا جزاء، وبالجملة النشأة غير النشأة[1]. ونحنُ لا نريدُ أنْ نسترسلَ ونستطرد هنا في الحديث عن حقيقة الآخرة، حيثُ إنَّ في ذلك تفاصيل ليسَ محلّها هنا. وما يهمّنا هنا - في بحثنا هذا - هو أثر الإيمان بالآخرة في ترسيخ قيم وأخلاقيات وسلوكيات الحياة الطيّبة في الدنيا والعمل بها.

ولقد حفلَ كتاب الله (القرآن الكريم) بالكثير الكثير من الآيات القرآنية الكريمة التي استفاضتْ وتوسّعتْ في الحديث عن الآخرة، ليس فقط كركنٍ إيمانيّ إسلامي- بل كحقيقةٍ واقعةٍ لا ريب فيها، مؤصلةً للربط بين الآخرة والدنيا، مع جعل الآخرة هي الهدف الأساس الذي ينبغي العمل له. ورغم كونها (أي الآخرة) غيبًا زمنيًا ومكانيًا بالنسبة للإنسان[2]، ولكن كلام الله تعالى وحديث رسوله الكريم صادقٌ مصدقٌ ولا يحكي إلا الحقائق الواقعة، ويجب التسليم به وهذا من شروط إيمان المرء وصحته. وهو أهم مسألة دينية بعد التوحيد. وهذا ما يمكن أنْ نجده ونستفيده ممّا جاءَ في القرآن الكريم، حيث أشار وبصراحةٍ بالغةٍ إلى أنّ الأنبياء بعثوا لكي يجعلوا الناس تؤمن بحقيقتين جوهريتين، الأولى هي الله (المبدأ - التوحيد)، والثانية هي القيامة أو المعاد (الآخرة).

ومهما يكن من أمر، فإنّ هذا البحث سينطلق من مبادئ ثلاثة:

الأوّل: إنّ الآخرة هي الأساس الذي ينبغي للإنسان أنْ يسعى إليه ويحضّر له. ويقول تعالى: **﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾**[٣].

الثاني: إنّ لكلّ عملٍ أثرٌ في الدنيا. **﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾**[٤]. وقال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾**[٥]. وممّا لا شك فيه أنّ الحياة الطيّبة والمعيشة الضنكا هي من آثار العمل، كما أنّ المقصود من الحياة الطيّبة هي الحياة الخالية من الخبائث وإنْ كانت مليئة بالتعب، فيما المعيشة الضنكا هي المعيشة المليئة بالخبائث وإنْ كانت خاليةً من التعب.

الثالث: وهي تجسّد أعمال الإنسان في الآخرة. قال تعالى: **﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾**[٦]. إذ من الواضح أنّ حشر المُعرض عن ذكر الله أعمى إنّما هو الصورة الأخروية للإعراض عن ذكر الله، والذي صورته صورة الأعمى.

وبناءً على هذه المبادئ، فلا شك في أنّ للإيمان باليوم الآخر مدخليةٌ في سلوك الإنسان، وتلبّسه بالصفات التي يقتضيه هذا الإيمان.

المبحثُ الأوّل: دورُ الإيمان بالآخرة في تمكينِ معالمِ الحَياة الطيّبة عند الإنسان المسلم (تحليل لآياتٍ قرآنيةٍ ونصوصٍ حديثيّة)

عندما نتحدثُ عن الحياة الطيّبة ودور الإيمان بالدار الآخرة في تمكين معاييرها وخصائصها دنيويًا في حياة الفرد المسلم، لا بدّ أولًا من فهم معنى هذه (الحياة الطيّبة) في طبيعتها وماهيتها. فالحياة الطيّبة هي الحياة التي يعيش فيها المسلم في ظلِّ قيم الله تعالى ومفاهيمه وأخلاقياته، متسلحًا فيها بنور الإيمان بالله في توحيده والالتزام بمقتضياته الشرعية كلّه، وإخلاص النية له في كلّ حركةٍ وسكونٍ وفعل.

والحياة الطيّبة رغبة ومطلب كلّ إنسانٍ يمتلك وعيًا وحكمة ومسوؤلية، ويعي معنى الوجود الذي أفاضه الله. وبطبيعةِ الحال ما من إنسانٍ في هذه الحياة إلّا وتراه يسعى ويكدح ويضني نفسه ويجهدها بحثًا عن تمثّل بعض معالم الحياة الطيّبة وطمعًا في الحصول عليها ولو بحدودها

الدنيا. لكن الواضح أنّ الله تعالى - مالك الملك والوجود كله - حددّ بدقةٍ في كتابه الكريم معنى هذا المفهوم وأشار إلى خصائصه في عدة آياتٍ قرآنيةٍ صريحة، يقول تعالى: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾[٧]. والعمل الصالح هنا هو العمل الذي يقوم به الإنسان في علاقاته ومعاملاته الخاصّة والعامة في ظلّ إيمانه بالله تعالى ومرضاته الله تعالى، والالتزام بأحكام شرعه وقيمه الدينية مخلصًا لله فقط.

ولا شكَّ في أن ذروة العمل الصالح عند الفرد المسلم لا تأتي إلّا عبر إيمانه العميق بالآخرة، وهذا الإيمان هو الذي يعمل بدوره على تمكين وتثبيت أسس ومعالم الحياة الطيّبة في الحياة الدنيا لهذا الفرد انطلاقًا من ذاته في تنميتها على الفضائل والأخلاقيات والقيم الدينية الخيرة. فالدنيا مزرعة الآخرة بحسب ما تحدّث الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، بمعنى أنّ ما يفعله المرء في دنياه سيلقى حصاده في الآخرة؛ ولهذا ينبغي أنْ يكون العمل والفعل في الدنيا خيرًا وطيبًا وصالحًا حتى يعيش في دنياه حياة طيّبةً معطاءةً متوازنةً ومسؤولةً في كل ما يتصل بحركته ووجوده وعلاقاته، يعكس فيها إيمان الإنسان بآخرته وبدينه ككل.

وقد أضاءت لنا الآياتُ القرآنية وكذلك الأحاديث الشريفة، طريق الحياة الطيّبة وصولًا لآخرة ينال فيها جزاءً حسنًا، من خلال أمورٍ جليلةٍ وعظيمةٍ عديدةٍ أوجبتها علينا، وهي:

أولًا- الإيمانُ بالله تعالى وتوحيده، وهذا يتطلّبُ من المسلم ما يلي:

١- الإيمانُ اليقيني البعيد عن الظن والتوهم والتخمين: فاليقين وحسن الظن بالله من أسباب الحياة الطيّبة، ومن أهمّ معالمها في حياة الفرد المسلم، وهما لا يتوفران عنده - في سلوكه وشصخيته - من دون تقوى ذاتيةٍ وعمليةٍ يجب أنْ يقوَّمَ حياته بالاستناد إليها. يقول تعالى: ﴿**وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا**﴾[٨].

إنّها التقوى إذًا التي تأتي على رأس الالتزامات الأخلاقية التي يجب تأسيس النفس ذاتيًا عليها، والتمسك بها وأداء استحقاقاتها الخارجية في بناء الحياة الطيّبة على أسس العدل

والمساواة والإخاء الإنساني. وهذه الرؤية الأخلاقية الإنسانية المتطلعة لبناء حياة صالحة وطيّبة على الأرض بين الناس، لا تثمر من دون إيمانٍ بيوم تتحقّق فيها العدالة المطلقة، ويحاسب الناس على أعمالهم، أي من دون إيمان باليوم الآخر أو بالدار الآخرة.

قال الإمام علي عليه السلام: "**سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله عَنْ أَكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، قَالَ: تَقْوى اللهِ وَحُسْنُ الخُلُق. وسُئِل عن أكثر ما يُدخل به النار قال: أجوفان، البطن والفرج**"[٩]. وفي قولٍ آخر يعدّ الإمامُ علي عليه السلام أنَّ "**التقوى دواءُ داءِ قلوبكم، وشفاء مرضِ أجسادِكم، وصلاحُ فسادِ صدورِكُم، وطهورُ دَنسِ نفوسِكُم**"[١٠].

إنَّ تأكيدَ الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، والإمام علي عليه السلام على التّقوى وعدّها بمنزلة الدّواء الشافي للناس، خاصّة لأولئك الذين يعانون من أمراض الروح والنفس والأجساد المتعبة، لم يكنْ أمرًا اعتباطيًا، بل هو أمرٌ مرتبطٌ بغايةٍ نبيلةٍ وهدفٍ سامٍ، إذ يريد من خلالِ ذلكَ أن يتصدّى بقوةٍ للنزعة المادية الصّنمية، ويواجه ما يحدث في أمته من (طغيان الرؤية المادية) - والنزعة الحياتية اليومية - على واقع المجتمع كله. خصوصًا أنّها أدت إلى اضمحلال مشاعر التدين الصحيح بين الناس، وانحراف تصوراتهم الإسلامية العملية القائمة أساسًا على قاعدة التقوى. كما كان يستهدفُ إرشادهم إلى كيفية تأسيس حياتهم وإدارة مختلف مواقعهم وشؤونهم بالاستناد أولًا إلى قيمة التقوى بوصفها مدخلًا للفضيلة، وقاعدةً ومعيارًا للتعامل الذاتي الداخلي والموضوعي الخارجي، وسبيلًا للفلاح والنجاح من خلال ترويض النفس وتهذيبها وكبح جماحها عن الشهوات والظلم والعدوان. يقولُ الإمام عليه السلام: "**فليكنْ أحَبّ الذّخائر إليكَ ذخيرة العملِ الصّالح. فامْلِكْ هَواكَ وشُحّ بنفسِك عمّا لا يَحلُّ لكَ، فإنّ الشحَّ بالنّفس الإنصافُ منها فيما أحببتْ أو كرهتْ**"[١١].

والناس لو تأمّلوا سننَ الله الكونية وجليل حكمته تعالى، وعظيم عنايته بالإنسان وتكريمه له؛ لدفعهم ذلك إلى سلوك طريق التقوى، والانفتاح على ما تتطلبه من قواعد إيمانيةٍ وعلى رأسها الإيمان باليوم الآخر، وحينئذٍ لا تطلّ الأنانية بوجهها البغيض، ولا يكون تكالب على الحياة الدُّنيا، بل التعاون على البرِ والصلاح الفردي وبالتالي المجتمعي. وهذا ما أكّده

الإمام علي عليه السلام في قوله: "**اتقوا الله تقيةَ من أيقن فأحسن، وعبر فاعتبر، وحذر فازدجر، وبصر فاستبصر، وخاف العقاب وعمل ليوم الحساب**"(١٢).

٢-التوكلُ على الله تعالى في أفعاله وعلاقاته وتصرفاته: فالتوكل على الله تعالى مقام من مقامات العبودية والعمل الصالح، وهو صفةٌ إيمانيةٌ من صفات المؤمن بالله وبالآخرة. وهو يعني أنْ يستعين المرء بالله، وأن يفوّضَ المرء أموره وشؤونه كلّها إليه، مع السعي والعمل وليس مع التقاعس والقنوط. والتوكل على الله دليل صحة إيمان العبد وصلاح قلبه، وهو اعتراف العبد بربوبية الله، وتسليمه كلّ أموره للخالق الواحد، المتصرف بجميع أموره، والمدبّر الوحيد لأحواله، صغيرها وكبيرها.

يقول تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾(١٣).

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ وَكَفَى بِاللهِ وَكِيلًا﴾(١٤).

﴿..فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ..﴾(١٥).

جاء عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: "**الطِّيرةُ شِرك، وما منّا إلّا، ولكنّ اللهَ يُذهبُهُ بالتوكل**"(١٦).

وجاء عن الإمام علي عليه السلام: "**يا أيّها الناس توكلوا على الله وثقوا به، فإنّه يكفي ممّن سواه**"(١٧).

٣-العيشُ في ظل حالة الرضا بقضاء الله وقدره:

إنّ من يتحرّك ساعيًا باتجاه الرضا، وجده والتقاه، قال تعالى: **﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾**(١٨)، خاصة مع علم الإنسان المؤمن مسبقًا وقناعته الإيمانية الذاتية أنّ كلّ مَقاليد أمُور الخَلق، وتصاريف وجودهم وكلّ أقدارهم هي بيد العادل العظيم سبحانه وتعالى، فهو مالك الملك، الباسط والقابض للخير، يَرزق مَن يشَاء، ويصرفُ عمّن يشَاء، فإنْ أعطَاك أغنَاك، وإنْ منعَ عَنك أرضَاك، فحقيقةُ الرضَا بقضَاء الله وَقدره تَكمنُ في المَنازل العَصيبة، فإنْ رَضي المَرء بقضَاء الله بمَا فيهِ مِن عُسرٍ وَيسر، خَففّ الله مَصابه وَهمّه، وأذهبَ حَسرات نَفسه، وعاش في دنياه حياة صالحة، بسط الله

تعالى له فيها راحةً نفسيةً واطمئنانًا قلبيًا، وبشّره بحياةٍ طيّبةٍ صالحة. وهذا الإيمان بالقضاء والقدر هو مَعْلَم من معالم الحياة الطيّبة الهانئة في الدنيا. قالَ الله تَعالى: ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[١٩]، أي المُطمئنين، والرَاضين بقضَاء الله، والمُستسلمينَ لأمرِه.

وأمّا مَن توغّر صَدره واستشَاط غَضبًا بقضَاء الله ألبسَه الله اليَأسَ والحُزنَ، فالانتقَائية بالإيمَان بالقَضاء والقَدر ليسَت مِن صِفات المُؤمن، وهيَ أن ترضَى بقضَاء الله في الرَخاء، وأنْ تسخَط في البَلاء، قالَ الله تعالى: ﴿**فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ**﴾[٢٠]، فالرضَا بَابُ الدينِ الإسلاميّ، ومشكَاة الاطمئنَان والاستقرَار.

جاء عن الرسول الكريم ﷺ: "**مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ مُعَافًى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا**"[٢١]. وعن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: "**نعم الطارد للهم، الرضا بالقضاء**"[٢٢]. وجاء في روايةٍ عن الإمام الصادق عليه السلام:"**ارضَ بما قسمَ اللهُ لكَ تكنْ غنيًّا**"[٢٣]. وروي عن الإمام الباقر عليه السلام: "**من قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الأغنياء**"[٢٤].

إنّ إيمان المرء بقضاء الله وقدره في عيشه الدنيوي عيشة راضية صالحة، يتعمّق ويترسّخ ويتعزّز أكثر مع إيمانه باليوم الآخر، وإدراكه لما فيه من ثوابٍ وعقابٍ وجزاءٍ عن الأعمال، ليكون هذا الإيمان إشعاعًا موجّهًا لسلوكيات الإنسان الحقيقية نحو فعل العمل الخير والطاعة لله، وليس هناك أيّ قانونٍ من قوانين البشر يستطيع أنْ يجعل الإنسان مؤمنًا بقضاء الله – وقيم الله – مثلما يفعله الإيمان باليوم الآخر. وهذا ما نراه في حياتنا حيث إنّ الإنسان المؤمن بالدار الآخرة يعمل وهو ناظر لقيم الله وحسابه وميزان عدله في الآخرة، فيستقيم سلوكه، وتعتدل حركته، ويتقوى إيمانه، فيصبر ويثبت مبتغيًا أجر ثواب الله في الآخرة؛ لأنّ ما عند الله باقٍ لا ينفد. وهذا ما يجعله يعيش في دنياه متصالحًا مع نفسه، فلا يعيش التخبط والعبثية والا جدوى، بل تتحقق له الحياة الطيّبة الهانئة.

٤ – الالتزام بمكارم الأخلاق الدينيّة (الاستقامة على قيم الله) والبعد عن معاصيه:

لأنّ الحياة الدنيا ليستْ مجرد مدّةٍ زمنيةٍ عبثيةٍ تعاشُ بلا ضوابط ولا أدنى التزامات قيمية أخلاقية، بل هي حياةٌ يجب أنْ تكون مضبوطةً بنظم وقوانين ومعايير أخلاقية دينية، تقوم على

أسسٍ اجتماعيةٍ وسلوكيةٍ اعتقاديةٍ إيمانيةٍ صاغتها العقيدة التي أنزلها تعالى، والله أرشدنا فيها إلى أنّه خلقنا وخلق الحياة لغايةٍ واضحةٍ مقصودةٍ، وحكمةٍ منشودة. قال تعالى: ﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ**﴾[٢٥]. وقال تعالى: ﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾[٢٦].

ثانيًا-عملُ الصّالحات (ترسيخُ مبادئ العمل الصالح) استنادًا للشّرع وقيم الدين:

إنَّ أهم مبدأ لعمل الصالحات وترسيخها في واقع حياة الفرد المسلم، هو أنْ تكون وفقًا لشرعه تعالى، وذلك وفقًا لما يلي في علاقات الناس مع بعضها:

١-الإحسان إلى الناس والتواصل معهم انفتاحًا ووعيًا وأخلاقيات عملية:

حضّ الإسلام في قيمه التربوية الأخلاقية على ضرورة أنْ يقومَ تعامل المسلمين مع بعضهم ومع غيرهم على الأخلاق الحسنة والنوايا الطيّبة، وجعلَ ذلك عنوانًا بارزًا على صحة إيمانهم، ومَعْلَمًا من معالم حياتهم الطيّبة وإيمانهم بعقيدتهم. ومكارم الأخلاق الدالة على الأعمال الصالحة كثيرة، وهي من أولويات تعاليم الإسلام. قال تعالى: ﴿**وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ*وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[٢٧].

وقال تعالى في خطابه التربوي لنبيه الكريم صلى الله عليه وآله ومنه للأمّة كلّها: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ**﴾[٢٨].

- وجاءَ في الروايات أنَّ النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله قالَ لأبي ذر: "**يا أبا ذر اتّقِ الله حيثما كنتَ، واتّبع السّيئةَ الحسنةَ تمحها، وخالق الناس بخلق حسن**"[٢٩].

- وقال الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: "**مَثَلُ المؤمنين في توادّهم وتعاطفهم كمَثَلِ الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**"[٣٠].

- ويقول الإمام علي عليه السلام: "**مكارم الأخلاق عشر خصال: السخاء، والحياء، والصدق، وأداء**

الأمانة، والتواضع، والغيرة، والشجاعة، والحلم، والصبر، والشكر"[٣١].

إنّ مكارم الأخلاق الدينية عند الفرد، هي بالأساس أخلاق فطرية، وهي تحتاج على الدوام للإيقاظ والتفعيل والحضور في حركة الفرد المسلم، وهذا أمرٌ يحقّقه الإيمان بالآخرة وبالمعاد بالدرجة الأولى، فيندفع الإنسان لإيقاظ مواقع وعناصر الخير والصلاح والفضيلة والكمال في نفسه وفي أسرته ومجتمعه؛ فتطيب حياته في الدنيا ويستعد بها لحياة طيّبة خالدة في الآخرة. كما أن هذا الإيمان بالمعاد يحيي الأمل في حياة المؤمنين فيسعون إلى الإعمار والإصلاح في الأرض وترسيخ قيم الأخلاق والدين وهم يتطلعون إلى الحياة الآخرة. جاء في الدعاء عن الرسول الكريم ﷺ: "**وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح آخرتي التي إليها معادي**"[٣٢].

٢-السّعي في طريق الخير والحرص على تمثّل قيم الدين الإنسانية فكرًا وعملًا :

الإنسان الذي يتطلع لبناء حياةٍ طيّبةٍ تعكس إيمانه بدينه وقيمه وبالدار الآخرة، هو إنسانٌ خيّرٌ ومعطاء، يستفيد من فطرته ويستثمر فيها عمليًا، ويعيش حالة الوعي لوجوده ومسؤولياته في الأرض كخليفة مؤتمن، يسعى في طريق الخير ليس فقط لبناء ذاته وتنميتها على طريق التمكين الأرضي الصالح، المنتج والفعّال على صعيده الشخصي، بل أيضًا على الصعيد العام لإعمار الأرض والإصلاح فيها وترسيخ قيم الدين والأخلاق الحميدة. وبالنظر لأهمية هذا الموضوع قرن القرآن الكريم بين العمل الصالح والإيمان بالله تعالى، وتحدث عن العطاء الذي ينتظر من يقرن بينهما فكرًا وعملًا، قولًا وفعلًا. يقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ**﴾[٣٣]. ويقول: ﴿**وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**﴾[٣٤].

ويقول تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ**﴾[٣٥].

- وجاء عن الرسول الكريم ﷺ: "**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ، مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ ، مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**"[٣٦].

فالبُشرى للمؤمن الذي جعل الخير والأخلاق غاية في حياته، والويل والثبور للكافر الذي سار على طريق الشر ومحاربة قيم الله وسعى في الأرض خرابًا وإفسادًا. والجزاء لا يتحقّق كلّه في الدنيا بل في الآخرة، بمعنى أنّ الحياة الطيّبة الكاملة والمطلقة في خلودها لا تتحقّق إلّا في الدار الآخرة، حيث العدالة الكاملة ثوابًا وعقابًا. إضافةً إلى أنّ بعض الأعمال الصالحة، والطالحة جزاءً، لا يسع له - بحسب الشيخ جعفر السبحاني- نطاق هذا العالم[٣٧]. فمثلًا هناك من ضحّى بنفسه في سبيل الحق والخير والقيم الدينية والعقيدة الإسلامية، وأيضًا هناك من خضب الأرض بدماء المسلمين؛ ولهذا لا بد من وجود عالمٍ آخر يتحقّقُ فيه العدل الإلهي الكامل في ضوء الإمكانات غير المتناهية. كما قال: ﴿**أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ**﴾[٣٨]. ويقول أيضًا: ﴿**إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ اللهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ**﴾[٣٩].

إذًا الإيمانُ بالآخرة - وما يترتب عليه من التزاماتٍ وسلوكيات - هو القاعدة الأساس لبناء حياةٍ طيّبةٍ صالحةٍ في الدنيا. وبناءً عليه هناكَ نتائج وآثار تترتب على هذا الإيمان بالآخرة والمعاد:

أ. هداية وصلاح للمؤمن من خلال اعتقاده الراسخ بوجود حكمةٍ غيبيةٍ تحملُ الإنسان على الامتثال لسنن الله في الحياة الطيّبة، وتدفعه إلى تطبيق أحكام الشريعة الإلهية على واقع حياته وعلاقاته، فتحيا نفسه حياة طيّبة في الدنيا يسير فيها على صراطٍ مستقيمٍ بهديه تعالى، ويجعلها مزرعةً لحياةٍ طيّبةٍ خالدةٍ في الآخرة. يقول تعالى: ﴿**وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلاَمِ وَيَهْدِي مَن يَشَاء إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٤٠].

والهداية الإيمانية درجات، فقد جاء عن أبي عمرو الزبيدي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: "**الإيمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل، فمنه التامّ المنتهي تمامه، ومنه الناقص البيّن نقصانه، ومنه الراجح الزائد رجحانه**". قلت: إنَّ الإيمان ليتم وينقص ويزيد؟! قال عليه السلام: "نعم". قلت:.. فمن أين جاءت زيادته؟ فقال عليه السلام: "قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿**وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ * وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم**

مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾(٤١). وقال: **﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾**(٤٢). ولو كان واحدًا لا زيادة فيه ولا نقصان لم يكن لأحدٍ منهم فضل على الآخر، ولاستوت النعم فيه ولاستوى الناس وبطل التفضيل، ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنّة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله وبالنقصان دخل المفرّطون النار"(٤٣).

ب. الحياة الطيّبة للمؤمن تختلف عن حياة الرفاه عند غير المؤمن، لأنّ للمؤمن رادعًا ذاتيًا لا ينحرف به في سره وعلانيته، أمّا غير المؤمن فرادعه القانون الوضعي، وهو غير كافٍ لاكتمال حياة طيّبة في دنياه فضلًا عن آخرته.

إنّ حياة المؤمن الناظر ليوم المعاد حيث الحياة الخالدة، تحتاج إلى عملٍ وسعي وبذل جهد على طريق ذات الشوكة، وهي تأتي ثمرة جهاد للنفس، وإنابة إلى الله، واستمساك بعروته الوثقى وإرشاده ووحيه. يقول تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾**(٤٤).

أمّا حياة غير المؤمن (الفاسق والكافر) فتراه فيها غارقًا في شهواته وملذاته مستغرقًا في زخارفه الدنيا وفواحشها، زاعمًا أنّها حياة طيّبة، مع أنّها حياةٌ بهيميةٌ لا أخلاق فيها ولا أدنى خوفٍ وخشيةٍ من يومٍ آخر يحق فيها الحق. والله تعالى عندما يحذر وينهى عن الفسوق والفحشاء، فتحذيره هنا لا يأتي فقط لأنّها فواحش ستكون نتيجتها السقوط في جهنم الآخرة، بل لأنّها تؤدي إلى السقوط في هذه الدنيا، والعيش البهيمي على هامش الحياة بلا هدف ولا غاية. يقول الإمام علي عليه السلام: "**لو كنا لا نرجو جنةً، ولا نخشى نارًا ولا ثوابًا ولا عقابًا لكان ينبغي لنا أنْ نطلب مكارم الأخلاق، فإنّها ممّا تدل على سبيل النجاح**"(٤٥). ويقول عليه السلام: "**من أحبَّ المكارمَ اجتنبَ المحارم**"(٤٦).

ج. السعي في سبل الرزق الحلال وطلب الخيرات:

يقول تعالى: **﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى﴾**(٤٧). ويقول: **﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ﴾**(٤٨). وقوله تعالى: **﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾**(٤٩).

من ثمار وآثار هذا الإيمان بالآخرة كأساسٍ لإقامة حياة طيّبة على الأرض، يأتي موضوع السعي للرزق الحلال المباح على هذه الأرض التي أمرنا الله تعالى - كما جاء في آياته - بالسعي الحثيث عليها، والسير في أرجائها طلبًا لخيراتها ومواردها وثرواتها التي أودعها تعالى فيها، وهي ثرواتٌ ونِعمٌ لا تُعدّ ولا تحصى. فهو تعالى ذلَّل للناس - الجادين الساعين- الأرض بكلّ خيراتها التي جعلها شديدة وكثيفة التنوع بحسب تنوع العصور والأزمان، وبمقدار تنوع حاجات الإنسان ومطالبه، فمن يرغب في زيادة ربحه وكثرة فائدته، فعليه بالسعي والاجتهاد في اجتناء الخيرات، وأنْ يستشعر الجد والنشاط، وأنْ يطرح العجز والكسل والتواني، وهي سُنّة الله في خلقه، ولن تجد لسُنّة الله تبديلًا.

قال تعالى في إشارةٍ إلى موضوع الحثّ على طلب الرزق والسعي للعيشِ الطيب، حيثُ جعله من أهم العبادات التي يُبتغى بها وجهُ الله عزّ وجلّ فقال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ**﴾[٥٠]، وقال تعالى: ﴿**وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ**﴾[٥١].

والإنسان المؤمن، يدرك بل ويعتقد بأنّ الرزق مُقدَّرٌ من الله وهو بيده، مثل أي شيءٍ آخر بيده، وأنّ عليه واجب السعي والمثابرة والاستفادة القصوى من الإمكانيات والقدرات التي يملكها والفوارق التي قد تتاح له. يقول الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: "**لو أنّكم تتوكلون على الله حقَّ توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا**"[٥٢].

وجاء عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: "**إنّ الرزقَ رزقانِ: رزقٌ تطلبه، ورزقٌ يطلبك، فإنْ أنتَ لمْ تأتِه أتاكَ**"[٥٣].

د.الاعتقاد بالمعاد تربية وأخلاق ودافع لمراعاة حقوق الناس وإرساء قواعد التعامل الصحيح القائم على الإنصاف والصدق والأمانة والمبادرة الى العطاء والسيرة الحسنة وعمل الصالحات الذي تترتب عليه الحياة الطيّبة في الدنيا وتتصل بها في الآخرة.

وفي هذا المجال يتحدّث الشيخ الآملي في كلام له عن أثر وتأثير الاعتقاد بالمعاد على تهذيب النفس وتربية الروح على الفضائل والأخلاق، حيث يؤكّد على أنّه فيما لو أجريت الأحكام

الإلهية وأخرجت الناس من الظلمات إلى النور، فتحت أيّ عامل؟ هل أنّ العامل الأهم هو وجود الحديد والسيف؟ ﴿**أَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[٥٤] أم أنّ هناك شيئًا آخر؟. نحن نريد هنا أنْ نثبت أنّ العامل الأشد تأثيرًا هو ذكر الآخرة ويوم الحساب (المعاد)؛ لأنّ تنفيذ الحدود يمكن أنْ يثبت نظامًا صوريًا فقط، ولكن تربية الروح وتهذيبها لا يمكن أن يتم بالحديد، فالإنسان قد لا يرتكب عملًا خلافيًا في العلن، ولكن يصدر منه أيّ عمل في الخلوة. وعلى هذا الأساس قلّما نجد سورةً لا تذكر أحداث القيامة والاعتقاد بيوم الحساب، والثواب والعقاب والجنة والنار، وعندما يذكر الأنبياء على نحو التعظيم يقول إنّ ذكر القيامة هو الذي أوصلهم إلى هذا المقام. واليوم كذلك فإنّ ما جعل جبهاتنا مليئةً بالحماس والعطاء هو التعلق الشديد بالشهادة وهي العلاقة بالحياة الأبدية[٥٥].

بما يعني أنّ من أهم وأبرز آثار ذكر المعاد هو العمل على إقامة العدل والقسط الفردي والمجتمعي، وفي السبيل نفسه تكون التربية الأخلاقية وتزكية النفس، يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام: "**من تذكّر بعد السفر، استعد**"[٥٦]. والاستعداد هو التربية والعمل والالتزام بالأخلاق الدينية. ويقول عليه السلام أيضًا: "**واذكرْ قبركَ، فإنَّ عليه ممرّك**"[٥٧]. ثم يقول مخاطبًا مالك الأشتر: "**ولْنْ تحكم ذلكَ من نفسك حتى تكثرَ همومكَ بذكرِ المَعاد إلى ربّك**"[٥٨]. وفي المقابل فإنّ من أهم آثار نسيان المعاد هو الضلال والظلم الفردي والاجتماعي.. يقول الإمام علي عليه السلام: "**لا يؤمن بالمعاد من لا يتحرج عن ظلم العباد**"[٥٩].

ومن يتمعّن في كثيرٍ من آيات القرآن وروايات وأحاديث كثيرة أخرى للأئمّة يجد دعواتٍ صريحةً للاستعداد الروحي والعملي ليوم المعاد، وذلكَ من خلال أنْ يفكّر الإنسان المؤمن في صنع حياةٍ طيّبةٍ على الخير والصلاح في أسرته لتربية ذرية صالحة تسهم في تكوين مجتمعٍ صالحٍ حيث لا ضمان للإنسان غير عقيدة المعاد تصلح لبناء حياة طيّبة. حيث إنّ الإيمان بالمعاد لا ينتج حياةً طيّبةً وحسب بل ينتج نفسًا مطمئنة، وينزل السكينة على الأفئدة والخواطر ويبعث فيها الأمل الذي لا يتوقف إلّا عند خالقها، وهو إيمان يجعل الإنسان يراقب نفسه وسلوكه

وتصرفاته حتى تكون منسجمةً مع الإيمان بالله وقيمه، وتحقُّق غاية رضاه. يقول تعالى: ﴿**من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحًا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾[٦٠]. وهم أصحاب النفوس المطمئنة وحياتهم الطيّبة هي ثمرة أعمالهم الصالحة، وكلاهما جسر إلى ثواب المعاد.

وعن عبد الله بن عباس قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: "**أيّها الناس: بسط الأمل متقدّم حلول الأجل، والمعاد مضمار العمل، فمغتبط بما احتقب غانم، ومتيسر بما فاته نادم**"[٦١].

والعمل يعني البناء والتجهيز الأخلاقي والنفسي والسلوكي بما يرضي الله وعدم الانجرار وراء الهوى وطول الأمل. ولا حلّ معهما سوى بإدراك حقيقة الدنيا القصير الأمد، والإيمان بالآخرة والمعاد، بما يدفع الإنسان لكي يخافَ ويرجو. كما يقولُ الإمامُ جعفر الصادق عليه السلام: "**لا يكونُ المؤمنُ مؤمنًا حتّى يكونَ خائفًا راجيًا، ولا يكون خائفًا راجيًا حتّى يكونَ عاملًا لما يخاف ويرجو**"[٦٢].

المبحثُ الثاني: مجالاتُ آثار الحياة الإنسانية الطيّبة المُستندة إلى عقيدة المعاد

ينظرُ الإنسان المؤمن إلى الحياة الدنيا – بالاستناد إلى قناعته الإيمانية العقديّة–على أنّها ممّر وجسر العبور إلى الآخرة، ولا بدّ – للوصول إليها بسلامةٍ روحيةٍ وجسدية – من تحقّق العبور الآمن والمطمئن. ولكن دون هذا العبور عمل وجهد ومثابرة وتدريب، فالحياة هنا يتحكم فيها الأجل والمدة والأسباب والتقييدات والسعي الدائم على كل المستويات. ولعلّ من أولى وأهم شروط السعي والعمل، هو بناء الشخصية الإيمانية الأخلاقية. ولكن كما قلنا هذا البناء القيمي الأخلاقي للفرد المسلم لا يمكن أنْ ينمو ويتجسد واقعيًا من دون عقيدة، لها منعكسات تطبيقية في البعد الاجتماعي الدنيوي، وهي عقيدة الإيمان بالمعاد. إذ إنّه عندما يدرك الإنسان، ويقتنع قناعةً تامة أنّه بعد دنياه هذه – بكلّ ما فيها من شؤونٍ وشجونٍ وأعمالٍ وجهودٍ ومشاقٍّ وتعبٍ وكدحٍ وغيرها – يوجد يومٌ سيوفيه الله حسابه، فإمّا السعادة وإمّا الشقاء، فلا بدّ له من مراقبة ما يصدر عنه من قولٍ أو فعلٍ اتقاء لحسابٍ قادم. وهذه المراقبة تكون في الدنيا، وحتمًا ستؤثر إيجابًا على قيمه، فيعتدل سلوكه وعلاقاته ليؤسسها على كلّ ما يرضي تعالى فقط، بما ينعكس على صعيد بناء حياته الطيّبة الإنسانية[٦٣].

فما هي هذه المنعكسات والآثار على هذا الصعيد التي تنطلق أساسًا من موضوع الإيمان بالمعاد الذي كرّسه الله تعالى يومًا للعدل المطلق؟!

أولًا- مجالُ معيشة الإنسان المؤمن:

الإنسانُ المؤمنُ بالمعاد كعقيدةٍ إسلامية ثابتة، يقوم دائمًا وبشكلٍ مستمرٍ بتنظيم أعماله وشؤونه الخاصة والعامة كافة طبقًا للأحكام الشرعية، في كلّ ما يتصل بعلاقاته والتزاماته وكسبه الحياتي، فتزدهر حياته المعاشية، وتنعكس ثمارها على مجتمعة، حيث يحتاط كلّ فردٍ فيه في مصدر عيشه وماله، من أين اكتسبه؟ وأين أنفقه؟

ونظافة العمل الذي يقوم على ميزان الاعتقاد بحساب المعاد عملًا بقول الرسول الكريم ﷺ: "**لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِه فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه فيمَ فعَلَ فيه؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيمَ أنفَقَه؟ وعن جِسمِه فيمَ أبلاه؟**"(٦٤).

وهكذا فالمجتمع الذي يعتقدُ بالمعاد، يمتنع عن الأعمال السيئة الشريرة، ويندفع نحو أعمال الخير والتراحم بين أفراده، وتسوده قيم المودة والتفاعل المنتج، ولا تجد الصّراعات الجانبية إليه سبيلًا. وتلك هي مقومات الحياة الطيّبة التي وعد بها القرآن بصيغة التأكيد: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طيّبة وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾(٦٥)، وهذا الوعد بالحياة الطيّبة في الدنيا والآخرة، مشروطٌ بالأعمال الصالحة للذكر والأنثى، وهي أعمالٌ تنطلق من الإيمان بالعقيدة والأحكام الشرعية وضبط الأفعال على ميزان حدود الله تعالى. يقول تعالى: ﴿**تِلْكَ حُدُودُ اللهِ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾(٦٦).

الالتزام بالقيم والأخلاق والأحكام الدينية الإسلامية كمقدمة للحياة الطيّبة، لا يعني بأيّ حالٍ قمع الإنسان لشهواته ورغباته، طالما بقيت في إطارها الشرعي وضوابطها الحَكَمية المسؤولة، لتتحقق عملية التوازن بين مطالب الروح والجسد. يقول تعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(٦٧).

ثانيًا- أثرُ الاعتقادِ بالمعاد على صَفاء النّفس وسكينتها وسموها الرّوحي الأخلاقي:

إنَّ الإيمانَ بالمعاد يدفعُ الإنسانَ للزّهد الإيجابي في هذهِ الحياة، فتصغرُ الدنيا وزخارفها في عينيه، ساعيًا إلى كلِّ ما يسمو بذاته وروحه. والنفس تسمو بالذكر والعبادات، وترتقي بالجهاد النفسي والسلوكي. يقول تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾(٦٨). إنّها سبل الله وتوفيقاته للوصول إلى طريق الاستقامة التي هي رضاه تعالى. وهي لا تأتي إلّا بسلوك طريق التقوى، والمجاهدة والصبر على أداء الطاعات، وعلى رأسها مخالفة هوى النفس ومخافة الله. يقولُ الرسول الكريم: "**خيرُ الزّاد التّقوى، ورأسُ الحِكمة مَخافة الله**"(٦٩). ويقول صلى الله عليه وآله حول الزهد: "**الزّهدُ ليس بتحريمِ الحلال، ولكن أنْ يكون بما في يدي الله أوثق منه بما في يديه**"(٧٠).

كما جاءَ عن الإمام علي عليه السلام في دعوته إلى سلوك طريق التقوى للسمو بالنفس والارتقاء بها وذلك للنجاة وتحقيق غاية المعاد. يقولُ عليه السلام: "**إنّ تقوى الله مفتاحُ سداد وذخيرةُ معاد، وعتقٌ من كلّ ملكة ونجاة من كلّ هلكة**"(٧١).

وسمو النفس كدرجةٍ روحيةٍ متقدمةٍ وعاليةٍ يصلها الإنسان المؤمن التقي الزاهد، تجعل الإنسان المؤمن متسامحًا صابرًا كاظمًا للغيظ، متطلعًا لبناء حياة إنسانية طيّبة فاضلة مع الآخرين، لكي ينعم المجتمع كلّه بالخير والمودة والتراحم. وتتحقق السّكينة والاطمئنان النفسي. قال تعالى: ﴿**فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٧٢)، ويُضاف إلى القلب، كما قال تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾ (النساء/ ٦٥).

ثالثًا- اكتسابُ المعنى والغاية (المعاد يعطي للحياة معنىً وغايةً):

لا يمكنُ لهذا العالم الذي نعيش فيه أنْ يكون صندوقًا مغلقًا أو سجنًا نهائيًا للبشرية، يتحرك الناس ضمنه تائهين بلا معنى أو غاية نبيلة أو مقاصد إنسانية قيمية عليا. وكلّ إنسانٍ منا عندما يعيش مدّةً من الزمن قدّرها له تعالى، ويتقلب في الدنيا تعبًا ومشقة، ومتحملًا كثيرًا من صنوف العذاب فيها، في سعيه وجهاده لتحصيل معاشه، لا بدّ من أنْ يكون لديه في عمق روحه إحساسٌ عميقٌ فطري، يخاطبه بأنّ هناك حياةً أبديةً خالدةً تنتظره، وأنّ هذه الدنيا هي

مجرد مزرعةٍ يبذر فيها هناك ليحصد هناك النتائج الطيّبة، بما يقتضي أنْ يكون البذْر والبذار صالحة وفي التربة الطيّبة الملائمة للنمو والبناء والتكامل. ولا شكّ في أنّ هذا الشعور الفطري يتدعّم ويترسّخ أكثر بالعقيدة (عقيدة المعاد) التي تعطي للحياة في الدنيا معناها، وتدفع الإنسان المؤمن ليعد نفسه للآخرة انطلاقًا من فترة إعدادٍ تمهيديةٍ في هذه الدنيا وصولًا ليوم المعاد والحساب، يوم العدل المطلق. يقول تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الكِتَابُ فَتَرَى المُجْرِمِيْنَ مُشْفِقِيْنَ مِمّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يا وَيلَتَنا ما لِهَذَا الكِتَابِ لا يُغادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيْرَةً إلاّ أحْصَاها**﴾[٧٣].

نعم، إنَّ الايمان بالمعاد يمنحُ الحياةَ معنى ومفهومًا وغاية نبيلة أصيلة، ويخلصها من (الاضطراب) و(القلق) و(العبثية)، واللا معنى، لا سيّما إذا كان إيمانًا مبنيًا على العقيدة القائلة بوجود محكمة عدل مطلقة في الدار الآخرة، لها قاضٍ غني عن العالمين، مطلق العدالة، ولا يضاهيه في عدالته أعدل العادلين.. إنه الله تعالى العليم الخبير، المالك القهار، العادل المطلق.. علة الخلق والوجود والحياة الذي يعطي الإيمان به - وبما يفيضه على الحياة - معناها الحقيقي بحيث يجعل الإنسان يتحرك في حياته بمسؤولية عالية وحساب دقيق لخياراته وعلاقاته ومختلف توجهاته الخاصة والأمة، فلا يظلم ولا يفتري ولا يتهم ولا يرتكب، ولا يتحرك في أي سبيل إلّا إذا كان لله فيه رضا. يقول الإمام علي عليه السلام: "**والله لأنْ أبيت على حسك السعدان مسهدًا، أو أجر في الأغلال مصفدًا، أحبّ إليَّ من أنْ ألقى الله ورسوله يوم القيامة ظالمًا لبعض العباد، وغاصبًا لشيء، من الحطام**"[٧٤].

وهذا هو معنى الحياة في وعي أهل البيت عليهم السلام وبالذات في وعي ومنهج الإمام علي عليه السلام، إنّه معنى لا يكتمل إلا بلحاظ العدل في الآخرة. أي إنّ معنى الحياة لا يكتمل إلّا بالنظر للمعاد، وعندها يمكن للمرء أنْ يستثمر طاقاته ويستفيد من إمكاناته ومواهبه التي منحه إياها تعالى (من القوى الجسدية والروحية والنفسية) من أجل إعلاء كلمة الله والعمل على نيل رضاه والسير في طاعته تعالى. يقول الإمام الصادق عليه السلام (بعد أنْ جاءه رجلٌ سئم الحياة وتمنى الموت): "**تَمَنّ الْحَيَاةَ لتطيعَ لَا لتعصي؛ فَلَأن تَعِيش فتطيع خَيْرٌ لَك مِنْ أَنَّ تَمُوتَ فَلَا تَعْصِي ولَا تُطِيع**"[٧٥].

رابعًا- الإيمانُ بالمعاد تربيةٌ رصينةٌ على بناء حياةٍ طيّبة:

لا شكَّ في أنّ الحياةَ الطيّبة في أحدِ أهم معانيها العملية تعني الالتزام بأُسسِ العمل الصالح وشرائطه الروحية والسلوكية. أي أنّها تأتي كنتيجةٍ طبيعيةٍ لقيام المؤمن بما يتطلبه منه العمل الصالح النابع من الإيمان بالله من خلال العقيدة الحقة الصحيحة والالتزام بأحكامها؛ وحينها سيعيشُ المجتمعُ البشري حياةً هادئةً مطمئنةً ملؤها الرفاه والسلم والمحبّة والتعاون، وفي أمان من الآلام الناتجة عن الاستكبار والظلم والطغيان وعبادة الأهواء والأنانية التي تملأ الدنيا ظلامًا وظلامات[٧٦]. هذا إضافة إلى الجزاء الأحسن في عالم الآخرة، عندما يقيمُ اللهُ تعالى موازينَ القسط والعدل المطلق.

إذًا، الحياة الطيّبة نتاج مباشر للعمل الصالح، والعمل الصالح يحتاجُ لتربية منذ الصغر ترتكزُ على ما تتربّى عليه شخصية الإنسان في الجوانب العقائدية والإيمانية والروحية؛ لذلك سيتعلّق قلب الإنسان منذ فترات حياته الأولى بربّه الحقّ الذي هو يُحقّ كلّ حقٍّ بكلماته، فلا يريد إلّا وجهه ولا يحبّ إلّا قربه، ولا يخاف إلّا سخطه وبعده. يقول تعالى: ﴿**فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**﴾[٧٧]. فإنّ الخطوة الأولى في التربية نحو الله، تتمثّلُ في بناء النفسِ المنفتحة على الله وقيمه، وتركِ حبّ النفس، ومحاربة الأنانية والذّاتية والنفعية، والتطلع الدائم نحو الدار الآخرة استعدادًا للقاء الله تعالى. فيصل إلى حياة طاهرة دائمة مخلّدة لا يدبّر أمرها إلّا ربُّه الغفور الودود، ولا يواجهها في طول مسيرها إلا الحسن الجميل، فقد أحسن كلّ شيءٍ خلقه، ولا قبيح إلّا ما قبحه الله من معصيته. فهذا الإنسان يجد في نفسه من البهاء والكمال والقوة والعزة واللذة والسرور ما لا يقدر بقدر، وكيف لا؟ وهو مستغرق في حياة دائمة لا زوال لها ونعمة باقية لا نفاد لها ولا ألم فيها ولا كدورة تكدرها، وخير وسعادة لا شقاء معها[٧٨].

والتربية على قيم العمل الصالح الموصلة لحياة طيّبة يربط فيها الفرد المؤمن بين دنياه وآخرته توازنًا ومسؤولية، لا تأتي لوحدها بل تحتاج إلى تدريبٍ روحي وقيمي، أي للالتزام بالعبادات. خاصّة على صعيد إخلاص النية فيها؛ لأنّ نسبة النيّات إلى الأعمال كنسبة الأرواح إلى الأبدان والنفوس إلى الأجساد. ولا تُقبل عبادة البتّة عند الحقّ المتعالي من دون نيّة خالصة.

ورد في الحديث الشريف قال: سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[٧٩]. قال: "**القَلْبُ السَّليمُ الَّذي يَلْقَى رَبَّهُ وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدٌ سِواهُ**". قال: **وَكُلُّ قَلْبٍ فيهِ شِرْكٌ أَوْ شَكٌّ فَهُوَ ساقِطٌ وَإِنَّما أرادَ بِالزُّهْدِ فِي الدُّنْيا لِتَفْرَغَ قُلُوبُهُمْ لِلآخِرَةِ**"[٨٠].

ونحن اليوم نعيش في عالمٍ ماديّ بحتٍ، أُصيبَ فيه كثير من البشر بأمراضٍ نفسيةٍ وسلوكيةٍ كبيرةٍ وعميقةٍ من الكبر والاستعلاء والحسد والضغينة والكره والرياء وغيرها، أثّرت سلبًا على وعيهم ومسؤولياتهم الحياتية، وأعاقت قيامهم بدورهم الاستخلافي الرصين، فباتَ عمى البصيرة وعمى القلوب واتباع الهوى مرافقًا لهم في كثيرٍ من مواقع حياتهم، ممّا أوقعهم في براثن الارتكاب وفساد الأحوال وسوء الأوضاع، والعيش بلا معنى. بالتالي صلاح القلوب التي وصف الله تعالى مرضَها في كتابه الكريم في قوله: ﴿**فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ**﴾[٨١]، هو بداية العلاج التربوي الحقيقي لكلّ تلك الأمراض، ليس لكونه أمرًا ملزمًا فقط من الناحية الشرعية، بل لأنّه يشكل في العمق جسرَ النجاة للإنسان من عواقب الأمور في يوم عظيم، هو يوم المعاد. قال تعالى: ﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ*إِلَّا مَنْ أَتَى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[٨٢]. أي قلبٌ مؤمنٌ خالٍ من العلّة والمرض، ويشهدُ بأنّ لا إله إلا الله. يقول الرسول الكريم ﷺ في وصفةٍ تربويةٍ للعلاج القلبي الروحي، "إنّ الإيمانَ يَبلى في القلوبِ فجدّدوا إيمانكم، قيلَ يا رسول الله وكيف نُجدد إيماننا، قالَ: أكثروا من قول لا إله إلا الله"[٨٣].

إنّ الإيمان بهذا اليوم العظيم المهول هو الذي يمكنه أنْ يثير ضمير الإنسان، ويحرك الحافز الأعمق في داخل كينونته لكي يجدّ السير في خط الاستقامة والوعي والمسؤولية في الدنيا، والتزام قيم العمل الصالح، بما يؤمن له الاطمئنان القلبي والهدوء النفسي والروحي إلى رضاه تعالى. يقول عزّ وجلّ: ﴿**قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[٨٤]. ويقول: ﴿**وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ**﴾[٨٥].

خامسًا- الجِهاد والاستشهاد في سبيل الله من مصاديق الحياة الطيّبة ومن آثار الاعتقاد بالمعاد:

يعدُّ الجهادُ واجبًا شرعيًا إسلاميًا فرَضَه اللهُ على المسلمين في أصل الحكم لكي يدافعوا عن مقدساتهم ويصونوا مواقعهم، ويحافظوا على سيادة مجتمعاتهم وتأمين مصالحهم في وجه من يحاول سلبها منهم أو الاعتداء عليهم. والجهاد ليس حالةً مزاجيةً للحاكم أو للقائد، بل هو ركنٌ جوهريّ أساسيّ في الدين له دواعيه ودوافعه ومبرراته وشرائطه ومناخاته السياسية والعملية، يقول تعالى: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**﴾[٨٦]. وقال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾[٨٧].

وقد عظَّمَت السنَّة الشريفة في رواياتٍ مستفيضةٍ أمرَ الجهاد في سبيل الله تعالى بما يجعل المجاهد المخلِص في عداد الخواصّ. فقد جاء عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنّه قال: قلت: يا رسول الله، أي العمل أفضل؟! قال صلى الله عليه وآله: "**الإيمان بالله، والجهاد في سبيله**"[٨٨]. وجاءَ عن الإمام علي عليه السلام: "**الجِهادُ بابٌ من أبوابِ الجنةِ فتحهُ اللهُ لخاصّة أوليائه وهو لباسُ التقوى ودرعُ الله الحصينة وجنته الوثيقة**"[٨٩].

ولاشكَّ في أنَّ من نتائجِ خوضِ المسلمين لمعارك الجهادِ سقوط شهداء وقتلى، ولكن هؤلاء خصَّهم اللهُ تعالى بثوابٍ لا يضاهيه ثواب بالنظر لتضحياتهم الجسام. والإسلامُ هنا ينظر إلى التضحية مقدّمةً للعيشِ الأبدي في الآخرة، وضرورةً حيويةً لبناء حياةٍ طيّبةٍ على الأرض، وليسَ فناءً وعدمًا، إذ إنّ الوصول إلى الحياة الحقيقية يوم المعاد والظفر بدرجة في الجنة، لا تنالُ إلّا بالشهادة، بل إنْ قام المؤمن بقتل عدو لله ورسوله فقد أحيا نفسًا بإخراجها من وديان القهر الظلم والجور. بما يعني أنّ الجهاد هو فعل وجود وحياة في الإسلام وليس فعل موت وفناء؛ لأنّه يسهم في صون الإسلام والمسلمين وحماية كلّ ما يقوّي وجودهم

وسعيهم لإقامة حياتهم الطيّبة الإنسانية القائمة على العدل والمساواة.

نعم، إنّ من أهم شروط قيامة الدول والمجتمعات وتطورها وعيشها الصحيح الآمن، وجود قوة تحميها وتدافع عنها في مواجهة كثيرٍ من التحديات والمطامع؛ ولهذا شرع الإسلام للعنف (وقنّنه) من خلال الجهاد، ورخّص لاستخدامه ضد كلّ الطامعين ممن يريدون شرًا بأمة الإسلام.

وقد قدّم المسلمون الأوائل نماذج عليا في التضحية والموت دفاعًا عن العقيدة والمقدّس، وحمايةً للحياة الإسلامية. فالموتُ في طريق خدمة الأهداف الكبيرة الإسلامية والمبادئ الحقة (وعلى رأسها إقامة الحياة الطيّبة الصالحة)، هو وصول إلى الكمال المنشود، والكمال هو حقيقة السعادة الدنيوية والأخروية، بينما الحياة مع الظالمين لا تطاق، فهي في حقيقتها جحيم وظلام. كما يقولُ الإمام الحسين عليه السلام الذي ضرب نموذجًا عاليًا في الشهادة: "**إنّي لا أرى المَوتَ إلاّ سَعادَةً، والحَياةَ معَ الظالِمِينَ إلاّ بَرَما**"(٩٠).

ولا شك في أنّ المصداق الأعلى المتطابق مع ضرورات تأسيس وبناء معايير الحياة الطيّبة على الأرض وعقيدة المعاد سيتمثّل في الإمام المهدي عجل الله فرجه الذي سيجسد هذه المعادلة الجامعة بين الدنيا والآخرة في دولته الموعودة، ليملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أنْ مُلئتْ ظلمًا وجورًا(٩١).

سادسًا- الحياةُ الطيّبة والفلاح والفوز القرآني لتحقيق غاية العدل:

عندما نقرأ القرآن الكريم ونتمعن في آياته ونتأمل في أحاديث السُنّة النبوية وما صدر عن أهل البيت عليهم السلام، وندرك حقيقة معاني وأبعاد تلك النصوص الشريفة، فإنّنا نجد أنّ هناك مصطلحًا ومفهومًا مشتركًا بينها يحدد طبيعة الغاية والهدف والوجهة النهائية للإنسان في حياته الدنيوية وصولًا لحياته الأخروية، وهو مفهوم ومصطلح الفلاح الذي يعني الفوز والنصر والنجاح. وتزداد أهمية النظر في هذا المفهوم من حيث ارتباطه بصورة وثيقة مع مفهوم الحياة الطيّبة.

فالحياة الطيّبة تتقوم بالعمل الصالح القائم على الإيمان وتوطيد العلاقة مع الله تعالى (فرديًا ومجتمعيًا)، ومردود هذا العمل يصرف وينفق كله في بناء الحياة السعيدة والهانئة المفترض أنْ تستند إلى قيم الوعي والحق والمسؤولية، والعلاقات الطيّبة بين الناس، وتعزيز الترابط والتماسك معها انطلاقًا من الالتزام بالمحددات والضوابط بالقواعد والأنظمة الشرعية التي أقرتها الشريعة في أصولها المعروفة؛ ممّا ينعكس في النهاية أمنًا وسلامة وطمأنينة على حياة الناس في سعيها الدائم وكدحها الارتقائي المستمر نحو الله تعالى تحقيقًا للمساواة والإنصاف والعدل، كغايةٍ أنزلت من أجلها الرسالات جميعًا. يقولُ تعالى: ﴿**وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا**﴾[٩٢]. ويقولُ تعالى: ﴿**لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ**﴾[٩٣]، والقسط هنا كناية عن العدل، عدل الإنسان مع نفسه ومع غيره، وعدل الحاكم، وعدل القانون، وعدل القضاء، وعدل كلّ مفردات الحياة التي تتصل بحركة الإنسان في الواقع. ويقول الإمام علي عليه السلام: "**الذي صَدَقَ في ميعادِهِ، وارتَفَعَ عن ظُلْمِ عبادِهِ، وقامَ بالقِسْطِ في خَلْقِهِ، وعَدَلَ عليهم في حُكْمِهِ**"[٩٤]. ولا بدّ لهذا العدل أنْ يتحرك في حياة الإنسان في كلّ مواقعه وامتداداته، كي ينعم الناس والمجتمعات بالسلام والأمان والتماسك وإلّا تحولت إلى عبثٍ وفوضى وصراعاتٍ واحترابات، يقول الإمام علي عليه السلام: "**العدل قوام الرعية وجمال الولاة**"[٩٥]، ويقول أيضًا "**ثبات الدول بإقامة سنن العدل**"[٩٦]. ولهذا جاء تركيز القرآن على العدل والفضائل الأخلاقية وصولًا إلى الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة بعد سلوك طريق الإيمان والطاعة. يقول تعالى: ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا**﴾[٩٧]. والفلاح في الآية يعني الفوز والنجاح في السعي والكدح الحياتي للفرد المسلم في إقامة حياة طيّبة انطلاقًا من خُلُقِ القرآن وقيمه وهداه ومبادئه التي شرعها تعالى. فمن يتخلق بهذه الأخلاق ويزكي نفسه بها سينجح ويفلح ويظفر بالسعادات والهناء ليس فقط على صعيده الفردي بل على صعيد المجتمع ككل من خلال بنائها على أسس الإيمان والفضيلة والقيم الإنسانية. يقول تعالى: ﴿**وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ**

يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٩٨]. ويقول عزّ وجلّ: **﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾**[٩٩].

والإيمان بالله تعالى هو الذي يوصل للفلاح والفوز والنجاة وإقامة الحياة الطيّبة. يقول تعالى: **﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾**[١٠٠].

الهوامش

١- الطباطبائي، محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ٢٠/ ١٤٨.
٢- لا شك في أنّ موضوعَ الإيمان بالغيب هو قضيةٌ جوهريةٌ ومركزيةٌ في الدين الإسلامي والعقيدة الإسلامية. وهو - بحسب ما جعله الله تعالى- من أهم صفات المؤمنين المتقين في مطلع القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ذلِكَ الْكِتابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدىً لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة/ ٢-٣). وهذا الإيمانُ بالغيب الزماني والمكاني هو من أساسيات الإيمان، والإيمان بالآخرة جزءٌ رئيسٌ وأساسيّ منه، وهذا الإيمان لا تقوم العقيدة الدينية الإسلامية إلّا به، حيثُ يطمئن قلب المؤمن وتأنس روحه ويحلو عيشه وتطيب حياته. وكلّ من يفقده أو يتركه تتحول حياته إلى مجرد عبث وفوضى وتهتك اجتماعي، ممّا يدخله في مزالق الدنيا من حيرةٍ واضطرابٍ ومصادمة الفطرة النقية.
٣- القصص/ ٧٧.
٤- النحل/ ٩٧.
٥- طه/ ١٢٤.
٦- م.ن.
٧- النحل/ ٩٧.
٨- الطلاق/ ٢-٣.
٩- الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ١/ ٤١.
١٠- نهج البلاغة.
١١- م.ن، ٤٠٤.
١٢- الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح ٦٥٩٨.
١٣- المائدة/ ١١.
١٤- الأحزاب/ ٤٨.
١٥- آل عمران/ ١٥٩.
١٦- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ٤/ ٣٦٦٠.
١٧- المتّقي الهندي، علاء الدين بن حسام، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، ح٨٥١٣.
١٨- آل عمران/ ١٤٥.
١٩- الحج/ ٣٤.
٢٠- م.ن/ ١١.
٢١- الترمذي، أبو عيسى محمد، سنن الترمذي، ٤/ ٥٧٤، ح ٢٣٤٦، وراجع: مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ١١٥.
٢٢- الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٤١٠، ح٩٩٠٩، ٣٣٩٧.
٢٣- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٧٧/ ١٦٩.

٢٤- الفيض الكاشاني، محسن، الوافي في أصول الفقه الإسلامي، ٣/ ٧٩.
٢٥- المؤمنون/ ١١٥.
٢٦- الذّاريات/ ٥٦.
٢٧- النور/ ٥٥-٥٦.
٢٨- آل عمران/ ١٥٩.
٢٩- الخرائطي، محمد بن جعفر، المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، ٢٨.
٣٠- م.ن، ص٢٨.
٣١- ابن أبي الحديد المعتزلي، ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ، ج٢٠، ص٢٧٥.
٣٢- محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح الأدب المفرد، ٦٦٨.
٣٣- البينة/ ٧.
٣٤- البقرة/ ٢٥.
٣٥- البروج/ ١١.
٣٦- الألباني، محمد بن ناصر، سلسلة السيرة الصحيحة، ٣/ ٣٢٠.
٣٧- السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، ٢٢٧.
٣٨- ص/ ٢٨.
٣٩- يونس/ ٤.
٤٠- م.ن/ ٢٥.
٤١- التوبة/ ١٢٤-١٢٥.
٤٢- الكهف/ ١٣.
٤٣- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، ٢/ ٣٣-٣٧.
٤٤- محمد/ ١٧.
٤٥- النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، ١١/ ١٢٣، ح١٢٧٢١.
٤٦- الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ح٤٧١٢.
٤٧- النجم/ ٣٩-٤١.
٤٨- الجمعة/ ١٠.
٤٩- التوبة/ ١٠٥.
٥٠- الملك/ ١٥.
٥١- المزمل/ ٢٠.
٥٢- الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، ٢/ ١٠٧١.
٥٣- ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ، الحكمة٤٣١، والكتاب ٣١.

٥٤- الحديد/ ٢٥.
٥٥- الجوادي الآملي، عبد الله، المعاد في القرآن، ١/ ٢٢ وما بعدها.
٥٦- ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، الحكمة ٢٨٠.
٥٧- م.ن، الخطبة ١٥٣.
٥٨- م.ن، الرسالة ٥٣.
٥٩- الآمدي، عبد الواحد بن محمد التميمي، غرر الحكم ودرر الكلم، ٢/ ٤٠٩-٣٦٤.
٦٠- البقرة/ ٦٢.
٦١- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٧٤/ ١٨٣.
٦٢- الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، ٢/ ٧١.
٦٣- جاء عن الإمام علي عليه السلام: "أَنْتَ الْأَبَدُ فَلَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى فَلَا مَحِيصَ، عَنْكَ وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ فَلَا مَنْجَى مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ.. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ.. وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ". (أنظر: ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، خطبة ١٠٩).
٦٤- الذهبي، محمد بن أحمد (شمس الدين)، سير أعلام النبلاء، ٩/ ٣١٦.
٦٥- النحل/ ٩٧.
٦٦- النساء/ ١٣.
٦٧- الأعراف/ ٣٢.
٦٨- النحل/ ٩٧.
٦٩- الصدوق، محمد بن علي، من لا يَحضرُه الفَقِيه، ٤/ ٣٧٦.
٧٠- المجلسي، بحار الأنوار، ٧٧/ ١٧٢.
٧١- شرح النهج، الخطبة ٢٣٠.
٧٢- النساء/ ١٣.
٧٣- الكهف/ ٤٩.
٧٤- ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ١١/ ٢٤١.
٧٥- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٦، ص١٢٨.
٧٦- مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله، ٨/ ٣١٤.
٧٧- الكهف/ ١١٠.
٧٨- الطباطبائي، محمد حسين، تفسير الميزان، ج١٢، ص٣٤٢.
٧٩- الشعراء/ ٨٩.
٨٠- الشيخ الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦.
٨١- الحج/ ٤٦.
٨٢- الشعراء/ ٨٨-٨٩.

٨٣- الألباني، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصحيحة، حديث رقم١٥٨٥.
٨٤- الأنعام/ ١٥.
٨٥- م.ن/ ٥١.
٨٦- الأنفال/ ٦٠.
٨٧- التوبة/ ١١١.
٨٨- مغنية، محمد جواد آل، أبو ذر الغفاري رمز اليقظة في الضمير الإنساني، ١٦٥.
٨٩- ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، ج١، ص٦٧.
٩٠- المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ٤٤/ ٣٨١.
٩١- في إشارة للحديث الشريف المشهور: "لو لْم يبقَ من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل اللهُ ذلكَ اليوم حتى يخرجَ رجلٌ من أهلِ بيتي يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما مُلئتْ ظلمًا وجورًا". (أنظر: م.ن، ٥١/ ٧٤).
٩٢- النساء/ ٥٨.
٩٣- الحديد/ ٢٥.
٩٤- ابن أبي الحديد المعتزلّي، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، خطبة رقم ١٨٥.
٩٥- النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ٧/ ١١٩.
٩٦- م.ن.
٩٧- الشمس/ ٧-١٠.
٩٨- التغابن/ ١١.
٩٩- الأعراف/ ٩٦.
١٠٠- م.ن/ ١٥٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

* ابن أبي الحديد المعتزليّ، عبد الحميد بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، إيران/ قم، الناشر: مكتبة آية الله العظمى مرعشي النجفي، طبعة عام ١٩٨٦م.

* آل مغنية، محمد جواد، أبو ذر الغفاري رمز اليقظة في الضمير الإنساني، لبنان/ بيروت، دار التعارف للمطبوعات، طبعة عام ١٩٩٠م.

* الألباني، محمد بن ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الصّحيحة، لبنان/ بيروت، مكتبة المعارف، طبعة عام ١٩٩٥م.

* البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح الأدب المفرد، طبعة أولى، السعودية/ الرياض، مكتبة الدليل، عام ١٩٩٤م.

* الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي (الجامع الكبير)، لبنان/ بيروت، دار الغرب الإسلامي، طبعة عام ١٩٩٦م.

* الجوادي الآملي، عبد الله، المعاد في القرآن، ترجمة: علي الحاج حسن، ط١، العراق/ بغداد، المركز الاستراتيجي للدراسات الإسلامية، عام ٢٠٢٣م.

* الحلواني، حسين بن محمد، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، طبعة أولى، إيران/ قم، طبعة مدرسة الإمام المهدي، عام ١٩٨٦م.

* الخرائطي، محمد بن جعفر، المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، لبنان/ دمشق، دار الفكر، طبعة عام ١٩٨٦م.

* الذهبي، محمد بن أحمد (شمس الدين)، سير أعلام النبلاء، طبعة٣، لبنان/ بيروت، مؤسسة الرسالة، عام ١٩٨٥م.

* الريشهري، محمد، ميزان الحكمة، لبنان/ بيروت، دار الحديث للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة عام ٢٠٠١م.

* السبحاني، جعفر، العقيدة الإسلامية على ضوء مدرسة أهل البيت، لبنان/ بيروت، دار التعارف للمطبوعات، طبعة عام ٢٠١٣م.

* الشريف الرضي، محمد بن الحسين، نهج البلاغة، تحقيق وتصحيح: صبحي الصالح، طبعة أولى، إيران/ قم، الناشر: هجرت، لعام١٩٩١م.

* الصدوق، محمد بن علي، عيون أخبار الرضا عليه السلام، لبنان/ بيروت، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، طبعة عام ١٩٨٤م.

* ـــــــ، من لا يَحْضُره الفَقِيه، إيران/ قم، الطبعة الثالثة، الناشر: انتشارات إسلامي التابعة لجماعة المدرسين، عام ١٩٩١م.

* الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، لبنان/ بيروت، مؤسسة الأعلمي للطباعة والنشر والتوزيع، طبعة عام ١٩٩٧م.

* الطوسي، نصير الدين، تلخيص المحصّل المعروف بنقد المحصل، لبنان/ بيروت، دار الأضواء للطباعة والنشر، طبعة عام ١٩٨٥م.

* الفيض الكاشاني، السيد محسن، الوافي في أصول الفقه الإسلامي، ط١، لبنان/ بيروت، دار الرسالة، عام ٢٠٠٠م.

* الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، لبنان/ بيروت، دار المرتضى، طبعة عام ٢٠١٧م.

* المالكي، أبو الحسنين ورّام بن أبي فراس تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، تقديم: محمد صادق بحر العلوم، العراق/ النجف، المكتبة الحيدرية، طبعة عام ١٩٦٤م.

* المتّقي الهندي، علاء الدين بن حسام، كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال، ط٥، لبنان/ بيروت،

مؤسسة الرسالة، عام ١٩٨١م.
* المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ج٧٧، طبعة٢، لبنان/ بيروت، طبعة مؤسسة الوفاء، عام ١٩٨٣م.
* المحمدي الكَيلاني، محمد، تكملة شوارق الإلهام للمولى عبد الرزاق اللاهيجي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، طبعة عام ١٩٩٩م.
* مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله، طبعة أولى، إيران/ قم، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، عام ١٩٨٨م.
* النجفي، هادي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، طبعة ١، لبنان/ بيروت، دار إحياء التراث العربي، عام ٢٠٠٢م.
* النوري، الميرزا حسين، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، لبنان/ بيروت، دار المؤرخ العربي، طبعة عام ١٩٩١م.